٢١٠٤

٤١٦٤٥

حاشية صبيح البخاري للجمل

ص ٢١٠٤
ك ٤١٦٤٥
ن ١

كامل ومطرشة ٢٥ حش خطاب

١٧٠٠٤

٧٩٢ و

خاتمة السجاري
للشيخ سليمان الجمل

٤١٠٤
ص
٤١٦٤٥
عثمان
حديث

وقف واحبس هذا الكتاب الحاج عثمان زريق
الشامي على من ينتفع به من طلبة العلم وجعل مقره بجامع الفاتحانى
تحت يد الفقير الفاني حارس قلعة التنوانى عفا الله عنه ثم
من بعده تحت يد من شا الله من اولاده وقفا صحيحا شرعيا
فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم

٧٩٢ و

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
قال الشيخ الامام والبحر الهمام من قيضه الله لايضاح ماخفي
من المسائل الفقهية ولكشف ما استتر من الاحاديث النبوية
والايات القرانية خاتمة المحققين وقلادة العارفين المقرب
للشوارد البحر الغزير الذي يرده كل وارد العلم الظاهر
والحبر الماهر لازال محفوفا بالعناية بالغ الامل مولانا
وعمدتنا الشيخ سليمان الجمل حفظه الله وابقاه
بجاه محمد خير انبياه امين بسم الله الرحمن الرحيم
نحمدك يامن شرح صدور المؤمنين بمواقع التسبيح والحمد
والتحميد ونور مساجد قلوب العارفين بمصابيح التكبير
والتمجيد واطلق السنة الذاكرين من قيد الغفلة بالتقديس
والتوحيد وختم اعمالهم بخاتم القبول كما بدأها بالموثة
والتاييد وبعد فمن جملة ما من الله به علينا
قراءة صحيح البخاري بالدرس من اوله الى اخره في المشهد
الحسيني على ساكنه سحايب الرحمة والرضوان واعاد
علينا وعلى المسلمين من بركاته امين مع مطالعة
شرح الشيخ القسطلاني عليه بالتمام والكمال فلما
وصلت للحديث الاخير المذكور رايت الشارح المذكور
اعتنى به مزيد الاعتناء وبسط الكلام عليه ورايت له
تاليفا مستقلا يتعلق بذلك الحديث لكن فيه طول فاختصرت
منه ومن كلامه في الشرح نبذة من الكلام تتعلق بالحديث
المذكور مع بعض زيادة من حاشية السندي على المتن
وكان ذلك عام الف ومايه وتسعة وثمانين من الهجرة
على صاحبها افضل الصلاة والسلام والحديث
المذكور هو ما رواه عن ابي هريرة قال قال رسول الله

صلي

صلى الله عليه وسلم كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده
سبحان الله العظيم وهذا حديث صحيح متفق عليه
مجمع على ثبوته والكلام عليه منحصر في ثلاثة اطراق
الاول في وجه تخصيص البخاري له من بين الاحاديث
بالختم به الثاني في اعرابه الثالث في تفسيره الطرف الاول
في وجه تخصيصه هذا الحديث دون غيره وبيانه انه
لما ابتدا المصنف كتابه ببدء الوحي وكان منه اذا جا نصر
الله والفتح اعلاما بانقضاء اجله صلى الله عليه وسلم
ومن جملتها فسبح بحمد ربك ناسب الختم بحديثه وايضا
فانه لما كان الحمد بعد التسبيح اخر دعوى اهل الجنة
كما قال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها
سلام الاية ووقع في هذا الحديث كذلك ناسب ان يجعل
المصنف هذا الحديث اخر كتابه في فضل التسبيح والتحميد
وايضا لما كان اخر الامور التي يظهر بها الفلاح من الخاسر
ثقل الموازين وخفتها جعله اخر كتابه تراجم كتابه فبدا
بحديث انما الاعمال بالنيات وذلك في الدنيا وختم
بان اعمال بني ادم توزن وذلك في القيامة فناسب ان
نذكر ما يحصل به ثقل الميزان ويرجح كفة الرحمن وهو
التسبيح والتحميد وفي هذا الابتدا والختام اشارة
الى انه انما يقبل من الاعمال ما كان منحصرا بالنية الخالصة
له تعالى قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين وقال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا فمن داخله في عمله اعجاب
او رياء اوحب محمدة او كراهية ذم فليس بمخلص في عمله

قوله ص

والله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا قال عليه الصلاة
والسلام تقول الله تعالى يوم القيامة من عمل عملا اشرك
فيه غيري فانا منه بريء وهو للذي اشرك وما احسن
قول الامام العارف ابي الفضل ابن عطا الله السكندري
الاعمال صور قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص فيها
وايضا في الختم بهذا الحديث مراعاة لحديث من كان اخر
كلامه من الدنيا لا اله الا الله ودلك لان حقيقة التسبيح
هو التنزيه عما لا يليق بجلاله وكبريائه من الشريك والولد
وغيرهما كلمة فصار التسبيح موذيا للتوحيد بانم وجه
واكده فضلا تنبيه على ان المراد بحديث من كان اخر كلامه
لا اله الا الله هو ان يكون كلامه يدل على التوحيد باي
عبارة كانت لا ان يكون اخر كلامه لا اله الا الله بعينه لان
المرعي في هذا الباب المعاني لا الالفاظ ويويده في الجملة ان
اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير هذه الكلمة
وهو قوله الرفيق الاعلى لكن كونه من ثمرات كمال التوحيد
بانم وجه واكده فلي هذا الختم المبارك تفاءل بالختم لمن
يعنيني بهذا الكتاب على التوحيد ان شاء الله تعالى اللهم
ارزقنا ذلك مع الاحياء الطرف الثاني في اعرابه قوله
كلمتان مبتدا وقوله حبيبتان صفة له وكذا قوله
خفيفتان ثقيلتان وهو من باب اطلاق الكلمة على الكلام
كقوله عليه الصلاة والسلام اصدق كلمة قالها الشاعر
كلمة لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زايل
وهذا ونحوه لا خلاف في انه كلام مركب مفيد فائدة هي
يكتفي بها وينطلق عليه حد الكلام لا انه كلمة فراذه الكلمة
اللغوية ومثل هذا كثير في كلام هم وقوله سبحان الله

الي اخره

الي اخره خبر كلمتان لانه موخر لفظا والاصل عدم مخالفة
اللفظ محله الا لموجب يوجبه وهو من قبيل الخبر المتعدد
بلا تعدد لان سبحان الله مع عامله المحذوف انما اريد لفظه
والجمل المتعددة اذا اريد لفظها فهي من قبيل المفرد الحاكم
ولذلك لا تحمل ضميرا ولانه محل الفايدة بنفسه بخلاف
كلمتان فانه اعني كلمتان انما يكون محطا للفايدة باعتبار
وصفه بالخفة على اللسان والثقل في الميزان والمحبة
للرحمن الا ترى ان حمل كلمتان الخبر غير بين لانه ليس
متعلق الغرض الاخبار منه صلى الله عليه وسلم عن سبحان
الله انه بانهما كلمتان بل بملاحظة وصف الخبر بما تقدم
اعني خفيفتان ثقيلتان حبيبتان فكان اعتبار سبحان
الي اخره خبرا اولي ومنهم من حمل سبحان الله اخ
مبتدا قدم خبره وهو كلمتان اذ لنكتة بلاغية لاجلها تقدم
الخبر وهي تشويق السامع الي المبتدا لان كثرة الاوصاف الجميلة
الجميلة تزيد السامع تشوقا وتبعثه على طلب الموصوف
كقول الشاعر ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحي
وابو اسحاق والقمر قال السكاكي وكون التقديم يفيد
التشويق خفة طول الكلام في الخبر والاولي يحسن ذلك اعني
لانه كلما كثر التشويق بالتطويل بذكر اوصافه الجارية
عليه ازداد تشوق السامع الي المبتدا وهذا كما في الحديث
الشريف حيث قال كلمتان حبيبتان الي الرحمن خفيفتان
علي اللسان ثقيلتان في الميزان فانه لما كثر التشوق بذلك
الي سماع المحدث عنه فلما يجي سبحان الله وجده الاوانفس
في غاية التشوق الي سماعه وشروع الابتداء بسبحان وان
كان نكرة الاضافة المحضة قال العلامة الكمال بن الهمام

رحمه الله تعالى وقد ذهب بعض العلما الى تعيين خبرية
سبحان الله الى اخره ووجهه بوجهين احدهما ان سبحان
الله لزم الاضافة الى معرفة فجرى مجرى الظروف والظرف
لا تقع الا اخبارا فانهما ان سبحان الله كلمة اذ المراد
بالكلمة في الحديث اللغوية كما تقدم فلو جعل مبتدا لزم
الاخبار عنها هو كلمة بانه كلمتان واجيب عنه بانه
لا يخفى على سامع ان المراد اعتبار سبحان الله وبحمده
كلمة وسبحان الله العظيم كلمة فهذا كما يصح ان يعبر عنه
بكلمة كذلك يصح ان يعبر عن كل جملة منه بكلمة غير انه
لما كان كل من الجملتين اعني سبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم مما يستقل بكونه ذكرا تاما ويتفرد بالقصد
اعتبر كلمة وعبر عنهما بكلمتين على ان ما ذكره لازم على
تقدير جعل سبحان الله الخبر كما هو لازم على تقدير جعله
مبتدا لانه كما لا يصح ان يخبر عما هو كلمة بانه كلمتان كذلك
لا يخبر عما هو كلمتان بما هو كلمة وبعبارة اخرى وقوله
سبحان الله مبتدا موخر وكلمتان خبر مقدم وما بينه وبين
المبتدا اصفات له وقد اورد صاحب المصابيح سوالين
فقال فان قلت المبتدا مرفوع وسبحان الله في الجملتين منصوب
بفعل فكيف وقع مبتدا مع ذلك واجاب بان لفظها محكي
وقال في الثاني فان قلت الخبر مثنى والمخبر عنه غير متعدد
ضرورة انه ليس ثم حرف عطف يجمعهما الا ترى ان لا يصح
قولك زيد عمرو قائمان واجاب بانه على حذف العاطف
اي سبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم كلمتان خفيفتان
الخ وقوله حبيبتان تثنية حبيبة اي محبوبة بمعنى المفعول
لا الفاعل صفة لكلمتان ولذا ما بعده فيكون المراد

محبوبية

محبوبية قائليهما فائدة فعل اذا كان بمعنى مفعول يستوي فيه
المذكر والمونث اذا ذكر الموصوف نحو مر برجل قتيل وامراة قتيل
واما اذا لم يذكر الموصوف فانه يفرق فيه بين المذكر والمونث
نحو قتيل وقتيلة واما اذا كان بمعنى فاعل فيفرق فيه بين
المذكر والمونث سواء ذكر الموصوف اولم يذكر نحو مررت برجل
بصير وامراة بصيرة واما فعول اذا كان بمعنى فاعل لم يفرق
فيه بين المذكر والمونث اذا ذكر الموصوف نحو مررت برجل
صبور وامراة صبور واذا لم يذكر فرق بين المذكر والمونث
نحو صبور وصبورة وان كان بمعنى مفعول فانه يفرق ايضا
بين المذكر والمونث سواء ذكر الموصوف اولم يذكر نحو مررت
برجل منوع وامراة منوعة فان قيل لفظ التفعيل في الحديث
بمعنى المفعول وقد تقرر ان التفعيل اذا كان بمعنى المفعول
يستوي فيه المذكر والمونث فما وجه لحوق علامة التانيث
قالجواب ان التسوية جايزة لا واجبة وقيل انما انثها
لمناسبة الخفيفة والثقيلة لانهما بمعنى الفاعلية لا المفعولية
والله اعلم والرحمن فعلان من الرحمة والالف واللام فيه
للغلبة ولم يستعمل في غير الله تعالى كما لم يستعمل اسمه في غيره
وسمعت اضافته كما في قوله ابرحمن الدنيا والاخرة ووصف غير الله
به من تعنت الملحدين ونبه صرفه قولان حكاهما ابو حيان في
البحر احدهما يستند الى اصل عام وهو ان اصل الاسم الصرف
وثانيهما الى اصل خاص وهو ان اصل فعلان المنع للفلبته فيه
قال ومن غريب ما قيل فيه انه اعجمي بالخا المعجمة فعرب بالحا المهملة
قال ثعلب واختلف هل هو صفة او علم فقال جماعة انه صفة
لله ورد بانه اتى في القران غير تابع لاسم قبله كقوله تعالى الرحمن
على العرش استوى فلا يكون وصفا بل علم على التنزيه التبليغ

من جميع القبايح التي يضيفها اليه اعداوه وفي هذه الرواية
تقديم حبيبتان وتاخير تقبلتا وقوله سبحان الله اسم
مصدر لا مصدر يقال سبح يسبح تسبيحا لان قياس فعل
بالتشديد اذا كان صحيح اللام التفعيل كالتسليم والتكرير
وقيل ان سبحان مصدر لانه سمع له فعل للاعمى وبعض
الكبر افال ان فيه وجوها احدها انه مصدر تاكيدي كما في
ضربت ضربا فتوفي قوة قولنا اسبح الله تسبيحا فلما حذف
الفعل اضيف المصدر الى المفعول ومعنى اسبح الله اي
انظم نفسي في سلك الموقنين بتقديسه عن جميع ما لا يليق
بكنايه سبحانه وانه مقدس ازلا وابدا وان لم تقدسه احد
ثانيها انه مصدر نوعي على مثال ما يقال عظم السلطان
تعظيم السلطان اي تعظيما يليق بكنايه ولا يستحقه غيره
فالاضافة لا الى الفاعل ولا الى المفعول بل للاختصاص
فقائله ثالثها انه مصدر نوعي ولكنه على مثال ما يقال اذكر
الله مثل ذكر الله فالمعنى اسبح الله تسبيحا مثل تسبيح الله
لنفسه اي مثل ما سبح الله به نفسه فهو صفة لمصدر
محذوف بحذف المضاف الى سبحان وهو لفظ المثل فالاضافة
في سبحان الله الى الفاعل رابعها انه مصدر اريد به الفعل
مجازا كما ان الفعل يذكر ويراد به المصدر مجازا كقوله
تنبع بالمعدي وذلك لان المصدر جزء مفهوم الفعل وذكر
البعض واراده الكل مجاز كعكسه ولما كان المراد من الفعل
الذي اريد به انشاء التسبيح بني هذا المصدر على الفتح فلا
محل له من الاعراب وذلك لان الاصل في الفعل ان تكون مبنيا
وذلك لان الشبه الذي اعرب به المضارع منتف في
الانشاء فعله كمثل اسماء الافعال وهذا وجه نحوي يمكن



ان يقال به فافهم وحاذكرناه لا يبطله كون هذا اللفظ معربا
في الاصل فلا يضرنا ما جاء في شعر امية منونا انتهى العرف
الثالث في تفسيره قوله حبيبتان فيه اشارة الى انه تعالى
يوصف بمحبة عبده كما يوصف عبده بمحبته لان معنى حبيبتان
محبوبتان عنده ويحب قابلهما لانهما من النوافل التي يتقرب
بها الى الله تعالى واختلف في معنى محبته تعالى لعبده فقيل
فقيل اراده له خصوص الانعام من التقريب والزلفى وقيل
مدحه وثناؤه عليه فعلى هذا تكون محبته قديمة لان مدحه
وثناؤه كلامه وكلامه قديم كعلمه وقدرته تعالى فكانه اثنى عليه
ومدحه في القدم بكلامه القديم وقيل احسانه اليه وانعامه
عليه فعلى هذا تكون محدثة لان احسانه اليه وانعامه
عليه محدث كالخلق ومنهم من كف عن تفسيرها وقال هي من
صفات الاخبار لانه تعالى اخبر بذلك فلا نقدم ولا
محبة العبد له تعالى فهي حالة يجدها العبد في قلبه وهي اكمل
اللطف من ان يعبر عنها بلسان واشرف من ان يشار اليها
بعنان او بنان وكيف يعبر عن حالة قتلها لا تودي وجرحها
لا تفدى فتحمل العبد تلك الحالة اللطيفة والمنزلة الشريفة
على تعظيم محبوبه وكثرة الشوق اليه وقلة الصبر عنه
وعدم القرار دونه ودوام الاستيناس بدوام ذكره
بالقلب واللسان والمواظبة على ايثار اوامره وطلب مرضاه
بالخضوع تارة وبالدموع اخرى ويستحيل ان تكون محبة العبد
ادراكه لله تعالى بالكيفية والاحاطة الا يمنية لان حقيقة
الحقايق العلية منزهة عن هذه الاوصاف الدنية وقال
الجنيد من اثبت محبته لله من غير محبة الله له كان في
دعواه مبطلا لانه تعالى قدم محبته على محبتهم وجعل

قالوا

محبته شرطا وبين ان ذلك تفضل منه سبحانه فقال ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء وهذا يشبه قول الواسطي بفضله
احبهم واحبوه كما انه بفضله ذكرهم وذكروه وليعلم
ان حبه تعالى اذا دخل قلب امرئ اخرج ما سواه قيل
اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود اني حرمت على
القلوب ان يدخلها حبي وحب غيري واوحى الله ايضا
يا داود من احبني يتهجد بين يدي اذا نام البطالون وينذكرني
في خلوته اذا لها عن ذكري الغافلون وليعلم ان المحبة
والحب بمعنى واحد اسم لصفا الحال بين المحبين مشتق
من قولهم حباب الاسنان لبياضها وصفايها وقيل المحبة
اسم ليخليان ما في القلب من الاحزان والهمان والاهتياج
الى لقاء المحبوب مشتق من قولهم حباب القدور لغوغيها
حين غليانها ونزولها وقيل اسم للزوم ذكر الحبيب في
القلب من قولهم احب البعير اذا برك ولزم المبرك
والمناخ قال تعالى اني احببت حب الخير قال ابو عبيدة
معناه اني لزمت وقيل المحبة اسم لحبة القلب وهي موضع
سويداه وبه قوام القلب وسميت المحبة به لانهما تسكن في
حبة القلب كالراوية جعلت اسما للمزادة التي فيها الماء
للمجاورة لان العرب تسمي الشئ باسم الاخر اذا كان قريبا
منه وقيل ان تغار على محبوبك ان يحبه غيرك وليعلم
ان المحبة عشرة اقسام فروعها مختلفة وان كانت اصولها
متفقة مؤتلفة اولها الالفة وهي اشد الملاحظة قال بعضهم الحب
اوله سهل المرام واخره طول الحمام ابتداوه ممزوج بالمزاح
وانتهاوه خروج الارواح فاكثه نطق بالمجح وخاتمته
غرق في اللجج ثانيها المودة وهي ميل الطبع بالبعضية

قال

قال تعالى في وصف عبدة الاوثان انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم ومع البعضية فالحرقة بها ظاهرة
وشدة الشوق في احوالها قاهرة ولهذا قيل استحكام المودة
زراعة المحبة قالتها الخلة وسميت بذلك لانها دخلت في
خلال القلب سئل ذو النون المصري ما معنى الخلة قال
الاشتغال بالخليل دون ما سواه وكانت رابعة العدوية
تقول الخلة انزعاج يتخلل الانفاس والارواح والشفاه
والاشباح ثم ينتهي هذا المقام الى مقام المحبة وهي القسم
الرابع وهي ان يعبد محبوبه لا خوفا من النار ولا رغبة
في الجنة بل تعبده خالصا لوجهه الكريم فان شاء ادخله
النار وان شاء ادخله الجنة اذا علم هذا فليعلم ان منزلة
المحبة اشرف واجل من منزلة الخلة بدرجات كثيرة منها
ان الخلة لا تكون الا عن مكافاة فان الخليل ابراهيم عليه
السلام بذل ماله للضيفان وولده للقربان ونفسه
للنيران حتى اتخذه خليلا والمحبة ربما لا تكون عن مكافاة
بل قد تكون بالعناية السابقة قال في حق محمد صلى الله
عليه وسلم الحبيب قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ومنها ان اسم الخلة خاص للخلة فان الخليل ابراهيم
عليه السلام لم يبلغ الى منازل الحبيب محمد لاني الملكوت
الاعلى ولا كمل شاهدا على محمد وامته واسم المحبة
عام للخلة والمحبة فان الحبيب محمد ابلغ الى منازل الخليل
ابراهيم عليه السلام من الملكوت وغيرها وجاوزها وارتفع
عنها وكمل شاهدا على سائر الانبياء والامم فكل حبيب
خليل وليس كل خليل حبيبا ومنها ان منازل الخلة
ومعراجها الى الملكوت فيكون الخطاب برسالة اووحي او

من وراء حجاب ولا يسوغ له مجاوزتها قال الله تعالى وكذلك
نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ومنازل المحبة ومعارجها
الى مالك الملكوت بالمجاورة على الكل وسماع الخطاب وتشريف
التحية والسلام فقال تعالى فلما قاب قوسين او ادنى فاوحى
الى عبده ما اوحى ومنها ان الخليل لا يحسن ان يتمنى لقاء
خليله ولذا لما احتضر ابراهيم الخليل عليه السلام قال
لملك الموت هل رايت خليلا يقبض روح خليله فقال الله
تعالى قل له وهل رايت خليلا يكره لقاء خليله والحبيب يتمنى
لقاء حبيبه ولذا لما احتضر الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم
وخير بين المقام والانتقال كان يقول الرفيق الاعلى في
مقعد صدق عند مليك مقتدر وقد بالغ بعضهم في ذكر
الفرق بينهما وفيما ذكرته كفاية وبالله التوفيق خاتمها
التوق وهو توق النفس الى المحبوب وهو يتولد من
امتلاء القلب وامتزاج الكرب فان القلب يمتلئ اذا شبت
الحب بالاحزان فيمتلئ القلب من حب حبيبه فيلجئ
الى الذل والخضوع سادسها الشوق وهو ازادة رؤية
الحبيب على قلة الصبر ولهذا قيل الشوق يقع على الرؤية
والمحبة تقع على الذات سابعها العشق وهو مجاوزة الحد
في المحبة ولا يجوز ان يقال ان الله تعالى يوصف بانه تجاوز
الحد لاستحالة ان تكون فوقه امر او حاد له فيما يفعله
بل هو الامر الحاد لخلقه ولهذا يستحيل ان يوصف بالعشق
واما من جهة العبد فلا يجوز ايضا لانه لو جمع محاد الخلايق
كلهم في شخص واحد لم يبلغ ذلك قدر استحقاق محبة الله
سبحانه وتعالى فلان لا يبلغ مجاوزته اولى فيستحيل
ان يقال ايضا ان عبدا جاوز الحد في محبة ربه تعالى

فلذا

فلذا لا يجوز ان يقال ان العبد يعشق ربه تعالى ويجوز ذلك لاحد
المخلوقين في الاخر وقيل ان سبب العشق ان القلب اذا
غفل عن الملك الجبار شغله بمحبة الاغيار فاحدها الرقة
وهو ميل القلب كما ان الرقة ميل العين وسئل الشبلي عن
نظر العين ونظر القلب فقال العين ترمق الى الملكوت
والقلب يرمق الى مالك الملكوت ثم شهيق شهقة وغاب ساعة
في وجده فلما افاق قال مساكين هؤلاء المماليك الذين رمقوا
بقلوبهم الى الملكوت المخلوق ورضوا بالجنان المخلوقة واما
الملوك ففرضت عليهم هذه كلها فلم ترضوا بها ولم ينظروا
اليها مازاغ البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى
فرمقوا بقلوبهم مالك الملكوت القديم الازلي فيشتاق فقد
صدق عند مليك مقتدر فاسمها الشوق وهو قلع الشي
من موضعه من المنازعة التي تنازع قلب الحبيب في
صفات المحبوب شوقا اليه قال شجنون لبعض اصحابه كيف
بت البارحة فقال امسيت مع المنازعة واصبحت مع المجاذبة
امسيت والهوى والمحبة ينازعاني واصبحت والمقام والحال
يجاذبانني عاشرها الصبابة وهي ذهاب الشي من محله لانه
مذهب بالقلب من حال الصلاح والانتفاع الى حال الفساد
والضياع واما الهوى فهو اسم جمع هذه الانواع كلها سمي به
لطلبه العلو والشرف لان الهوى من اعلى الدرجات واشرف
المنازل والذي في قلبه الهوى يعلو من قلبه لهيب الزفرات
ويرتفع منه نفس التاوهات وسئل بعضهم ما معنى الهوى
فقال هو الهوان بعينه وانما حذفت منه النون وقيل
الى الرحمن انما خص اسمه الرحمن دون غيره من الاسماء الحسنى
لان كل اسم منها انما ذكر في المكان اللايق به وهذا من

محاسن البديع الواقع في الكتاب العزيز وغيره من الفصيح
كقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا وكذلك لما كان
جزاء من تسبح بحمده الرحمة ذكر في سياقها الاسم المناسب
لذلك وهو الرحمن وايضا خصه لان المراد من هذا الحديث
بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده ولانه ليس في
الاسماء الحسنى اخص بالذات المقدسة بعد الجلالة الشريفة
من اسمه الرحمن ويؤيده قوله تعالى قل ادعوا الله او
ادعوا الرحمن ففيها اشارة الى ان اسمه الرحمن عدل للجلالة
الشريفة والرحمة ارادة الله الخير باهله وعلى هذا
القول تكون الرحمة صفة ذات وقيل هي ترك معاقبة
من يستحق العقوبة واسداء الخير لمن لا يستحقه وعلى
هذا تكون صفة فعل والرحمن هو الشامل بالرحمة
لكافة ما تناولته الربوبية قال تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء فهو خاص اللفظ عام المعنى فخصوصيته من حيث
انه لا يجوز ان يسمي به احد غير الله تعالى عام من
حيث شموله جميع الموجودات وقد ورد في سعة رحمته
تعالى احاديث كثيرة منها ما روي عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله جعل الرحمة في مائة جزء فامسك
عنده تسعا وتسعين جزءا وانزل في الارض جزءا واحدا
فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها
عن ولدها خشية ان تصيبه وهذا حديث جليل فيه
بشارة عظيمة للمسلمين لانه اذا حصل للانسان رحمة
واحدة في هذه الدار المبنية على الاكدار فكيف الظن بما
ادخره الله في الدار الاخرة التي هي دار القرار ومنها
ما في صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال قال

الله

الله تعالى ان رحمتي غلبت غضبي وفي رواية سبقت غضبي
والمراد بالسبق والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها كما يقال
غلب علي فلان الكرم والشجاعة اذا كثر ذلك منه وقوله
خفيفتان على اللسان اي لليسر حروفهما وسهولة خروجهما
فالنطق بهما شريع وذلك لانه ليس فيهما شيء من حروف
الشدة المعروفة عند اهل العربية وهي الهمزة والباء الموحدة
والتاء المثناة الفوقية والجيم والدال والطاء المهملتان والقاف
والكاف ولا من حروف الاستفلال ايضا وهي الخاء المعجمة
والصاد والضاد والطاء والظاء والغين المعجمة والقاف
سوى حرفين الباء الموحدة والظاء المعجمة ومما يستفل
ايضا من الحروف الثاء المثلثة والشين المعجمة وليسا
فيهما ثم ان الافعال اثقل من الاسماء وليس فيهما فعل
وفي الاسماء ايضا ما يستثقل كالذي لا ينصرف فليس
فيهما شيء من ذلك وقد اجتمعت فيهما حروف اللين الثلاثة
الالف والواو والياء وبالجملة فالحروف السهلة الخفيفة
فيهما اكثر من العكس فالحاصل ان المراد بخفتهما سهولة
النطق بهما وقوله ثقيلتان اي حقيقة بناء على
ان الاعمال توزن وتوضع في الميزان او المراد بثقلهما كثرة
الاجور المدخرة لقائليهما والحسنات المضاعفة للذاكر
بهما وقوله في الميزان اصله موزان بكسر الميم وسكون
الواو والزاي والف بعدها نون فقلبت الواو ياء لسكونها
وانكسار ما قبلها فصار ميزان وقد اجمع اهل السنة على
الايمان بالميزان وان اعمال بني ادم توزن يوم القيامة
قاله الزجاج وغيره والدلايل على هذه الكثرة لكن لم تثبت
نص في تعيين جوهره ولا في انه موجود اليوم او سيوجد

في يوم القيامة كما في شرح اللقاني على الجوهرة واعلم ان وزن
الاعمال لا تكون الا بعد انقضاء الحساب لان المحاسبة لتقرير
الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها لتكون الجزاء بحسبها
وخص من عموم وزن الاعمال طائفتان الاولى من ليس
له سيات اصلا قال الشيخ ابو حامد الغزالي والتسعون
الفا الذين يدخلون بغير حساب لا يرفع لهم ميزان
ولا يأخذون صحفا وانما هي براءة مكتوبة لا اله الا الله
محمد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له
وسعد سعادة لا شقاوة بعدها فاحر عليه شيء اسر من ذلك
المقام وذكر ابن الجوزي في كتابه روضة المشتاق
عن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة جاء اقوام
والناس في الحساب قد انبت الله لهم اجنحة خضرا
فتساقطوا على حيطان الجنة فيقول لهم خزنة الجنة
من انتم فيقولون نحن من ولد ادم فيقولون هل حوسبتم قالوا
لا قالوا فبم تم الصراط قالوا لما الصراط فيقال لهم بم نلتم
هذه المنزلة قالوا كنا نشهد ان لا اله الا الله سرا فادخلنا الجنة سرا
رواه ابو منصور الديلمي الثانية من لا ذنب له الا
الكفر فقط ولم يعمل حسنة قط فانه يقع في النار من غير
حساب ولا ميزان وانكرت المعتزلة الميزان محتجين بان
الاعراض يستحيل وزنها اذ لا تقوم بانفسها والحق عند
اهل السنة ان الاعمال تجسم او تجعل في اجسام وروى
بعض المتكلمين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى
يقلب الاعراض اجساما فيزنها وقال الطيبي انما توزن
الصحف واما الاعمال فاعراض لا توصف بثقل ولا بخفة



ورجحه القرطبي وبويده ما رويناه في كتاب الترمذي وابن
ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي من حديث
عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يستخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم
القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد
البصر ثم تقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك الكتبة
الحافظون فيقول لا يا رب فتقول افلك عذر فيقول لا يا رب
فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك
اليوم فيخرج له بطاقة اي رقعة فيها اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضروا وزن ذلك
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول فانك
لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء وحكى
القرطبي في تذكرته عن القشيري في تفسيره اذا حفت حسنات
العبد المؤمن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة
كالانملة فيلقيها في كفة الميزان التي فيها حسناته فترجح
الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم
بابي انت وامي ما احسن وجهك واحسن خلقك من انت
فيقول انا نبيك محمد وهذه صلاتك التي كنت تصلها علي
وقد وضعتك بها اخوج ما تكون اليها وذكر الغزالي انه يوتى
برجل يوم القيامة فلا يجد حسنة ترجح بها ميزانه وكذا عدلت
بالسوية فيقول الله تعالى له رحمة منه اذهب في الناس فلا
فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فيقول خلال
العالمين فلا يجد اخا يكلمه في ذلك الامر الا يقول له خفت
ان تخف ميزاني فانا اخوج منك اليها فيقول له رجل من الذي

تطلب فيقول حسنة واحدة فلقد مررت بقوم لهم الاف حسنات
فيحملوا على فيقول له الرجل لقد لقيت الله فما وجدت في
صحيفتي الا حسنة واحدة وما اظنها تغني عني شيا فخذها
هبة مني له فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله ما سائلك
وهو اعلم فيقول يا رب اتغنى من امري كيت وكيت ثم ينادي الله
سبحانه وتعالى لصاحبه الذي وهبه الحسنة فيقول له سبحانه
كرمي اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة
وروى البيهقي عن انس مرفوعا قال ملك موكل بالميزان
فيوتى بابن ادم فتوقف بين كفتي الميزان فان ثقل ميزانه
نادى ملك موكل بصوت يسمع الخلايق سعد فلان سعادة
لا يشقى بعدها ابدا وان خفت موازينه نادى ملك موكل
بصوت يسمع الخلايق يشقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها
ابدا وقيل سال داود ربه ان يريه الميزان فلما رآه
اغمي عليه من هوله ثم افاق فقال الهي من يقدر يملا هذه
كفة هذا الميزان حسنات فقال يا داود اذا رضيت على
عبدي ملاته بتمرة واحدة وليعلم ان الناس في الاخرة
على ثلاث طبقات متقون لا كبائر لهم ومخلطون وهم
الذين ياتون بالكبائر والفواحش والثالثة الكفار فاما
المتقون فان حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم
ان كانت لم توضع في الكفة الاخرى فلا يحمل الله تلك
الصغائر وزنا وتثقل الكفة النيرة وترتفع المظلمة لو
ارتفاع الفارغ الخالي واما المخلطون فحسناتهم توضع في
الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة فيكون لكبائرهم
ثقل فان كانت الحسنات اثقل ولو بخردلة دخل الجنة
وان كانت السيات اثقل ولو بخردلة دخل النار الا ان

يعفو الله

عنه يعفو الله هذا ان كانت فيما بينه وبين الله تعالى واما
اذا كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فانه ينقص
من حسناته بقدر جزاء السيئات فان لم تف حسناته بما
عليه من التبعات فيحمل عليه من اوزار من ظلمه ثم يوتى
على الجميع الا ان يعفو الله عنه حكاه في التذكرة بمعناه
وذكر فيها ايضا في صفة وزن اعمال الكفار وجهين
احدهما ان الكافر يخص له ميزان يوضع كفره وسيئاته
في احدى كفتيه ثم يقال له هل لك من طاعة تضعها في
الكفة الاخرى فلا يجدها فتسال الميزان فترتفع الكفة
الفارغة وتقع الكفة المشغولة فذلك خفة الميزان وهذا
ظاهر الاية لان الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون
واذا كان فارغا فهو خفيف ثانيهما ان الكافر تكون له صلة
الارحام ومواساة الناس وعتق المملوك ونحو ذلك مما لو
كان في المسلم لكان قربة وطاعة فمن كانت له هذه الخيرات
من الكفار فانها تجمع وتوضع في ميزانه فيزان الكفر اذا قابلها
رجح بها ولم يحل من ان يكون الجانب الذي فيه الخيرات
خفيفا او لم يكن له الا خير واحد او حسنة واحدة فانه
قيل لو وزنت خيراته لجوزي على مثلها جزاء مثلها وليس له فيها
جزاء لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عبد الله
ابن جدعان وقيل له انه كان يقري الضيف ويصل الرحم
فهل ينفعه ذلك قال لا انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي
فدل ان الخيرات من الكافر ليست بخيرات وان وجودها
وعدمها بمنزلة واحدة فالجواب ان الله تعالى قال ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيا ولم يفرق
بين نفس ونفس فخيرات الكافر توزن ويجازى بها الا ان

الله تعالى حرم عليه الجنة فجزاؤه ان يخفف عنه بها عذاب معاصيه
غير الكفر بدليل حديث ابي طالب فانه قيل له يا رسول الله
ان اباطالب كان يحفظك وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم
وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح ولولا انا لكان
في الدرك الاسفل من النار واما ما قاله عليه الصلاة والسلام
في ابن جدعان فمفهومه انه لا يدخل الجنة ولا ينعم بشيء من نعيمها
نسال الله العافية وليعلم ان الجن مخاسبون مستئولون
وتوزن اعمالهم كالانس والدليل على ذلك قوله تعالى يا معشر
الجن والانس الم يأتكم رسل منكم وهذا سوال واذا ثبت بعض
السوال ثبت كله وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
يستمعون القران الاية ففي هذه الاية دليل على ان حكمهم
في الاخرة كالانس والله اعلم وقوله سبحان الله يطلق
التسبيح ويراد به جهر الصوت لفاظ الذكر ويطلق ويراد به
رفع الصوت ويطلق ويراد به الخضوع والتذلل ويطلق ويراد
به صلاة الفريضة ويطلق ويراد به صلاة النافلة ويطلق
ويراد به التعجب ومنه قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره
اي فتعجب لتيسير ربك تعالى لك ما لم يخطر ببال احد والسر
في استفهاله بمعنى التعجب ان التنزيه البليغ يستلزم
التعجب من بعد ما تنزه عنه المنزه فكانه قيل ما بعده عن
هذا ويطلق ويراد به الاستثنا قال تعالى اكم اقل كلم لولا
تسبحون اي تستثنون وتاويله يعود الى تعظيم الله في
الاستثنا بمشيئة الله تعالى ويطلق ويراد به التباعد
قال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا اي تباعدا طويلا واصله
التنزيه والبراة من النقايص وهو مختص بالباري وقيل
اصل التسبيح من السبح والسباحة وهو الجري في طاعة الله

فكان

فكان المسبح يسبح بقلبه في بحار ملكوته فاصحاب التسبيح
مختلفون فالطالب يسبح بقلبه في بحار الفكرة والعارف يسبح
بروحه في بحار التعظيم واعلم ان تنزيه الله تعالى تكون بالقول
واللسان مرة وبالاعتقاد اخرى وانه ينبغي للعاقل ان يقدس
اعماله من الرياء والمصانعات والتزين للمخلوقين بافضل
الطاعات فان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان موصوفا بصفة
الاخلاص وقد وقع في الحديث نكتة لطيفة وهي ان صفات
الله تعالى وجودية وعدمية فالاولى كالعلم والقدرة ونحوهما
من صفات الاكرام والثانية كنفي الالوهية عن غير الله تعالى
وانه تعالى لا شريك له ولا ضد له وهي من صفات الجلال
فالتسبيح يشير الى صفات الجلال والتحميد الى صفات الاكرام
واعلم انه اذا حصل الاعتراف والاعتقاد بانه منزه عن
جميع النقايص وما لا ينبغي ان ينسب اليه ثبتت الكمالات
ضرورة التزاما وحصل توحيد الربوبية وثبت التقدس
في كل كمال عن المشابهة والمماثلة والشركة وكل ما لا يليق فثبت
انتهى الرب على الاطلاق للانفس والافاق فهو المستحق لان
يشكر ويعبد فتتضمن هذه الكلمة اثبات التوحيد كما
تتضمن اثبات الكمالين وهذان الاثباتان في ضمنهما طمع
ممكن فيما يرجع الى الله تعالى ولما كان الاتصاف بالكمال
الوجودي مشروطا بالخلو عما يناقضه قدم التسبيح على التحميد
في الذكر كما تقدم التخلية على التحلية ومن هذا القبيل تقديم
النفي على الاثبات في لا اله الا الله انتهى واعلم انه انما
اضاف التسبيح الى الجلالة الشريفة لكونها اخص الاسماء الحسنى
لانها اسم الذات المقدسة الجامعة لجميع الصفات والاسماء الحسنى
قال بعض العارفين ما دعا الله تعالى احد باسم من اسمايه الحسنى

الاولى نفس الداعي حفظا في ذلك الاسم المدعو به الا قول الداعي
يا الله فانه دليل الوحدانية الخالصة ومثله قول القشيري
كل اسم من اسمائه تعالى يصلح للتخلق به الا هذا الاسم الله
فانه للتعلق دون التخلق وقد قال جماعة من ارباب القلوب
وغيرهم ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم واستدلوا لذلك
بادلة كثيرة واختلف في لفظه هل هو مشتق او مرتجل
فذهب جمهور النحويين وغيرهم الى انه مشتق وذهب
الباقون الى عدم اشتقاقه وقالوا انه اسم تفرد به الباري
سبحانه وتعالى وهو اسم خاص كما يكون لغيره اسما الاعلام
والالقاب الا انه لم يطلق في وصفه تعالى لا اسم اللقب
والعلم وهذا احد قولي الخليل بن احمد واليه ذهب الحسين
ابن الفضل وكثير من اهل الحق ممن سلك هذه الطريقة
قالوا ولم نر اهل اللغة تصرفوا في اشتقاقه وما كانوا قط
يستعملونه في غير الله تعالى بل قل ما يوجد في كلامهم
استعمال لفظ الله قبل الشرع في صفة تعالى فضلا عن
صفة غيره قال الله تعالى هل تعلم له سميا جا في التفسير
هل تعلم احدا تسمى الله غير الله وهذا من معجزات رسول
الله صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه في هذا الخبر
حيث اخبر انه لا سمي له فيض الله القلوب عن التجاسر
على اطلاق هذه التسمية في صفة غيره مع كثرة اعداء الدين
وشدة حرصهم وتوفر دواعيهم على تكذيبه صلى الله عليه وسلم
في اخباره وقيل معنى الاية هل تعلم احدا يستحق من الصفات
ما يستحقه الله تعالى واختلف القائلون بالاشتقاق
على اقوال الاول ان اصله اله والاله من وله اليه في الحوائج
اي يفزع اليه في النوايب كالكاف اسم لما يوتكف به والحاف



اسم لما يلتحف به والى هذا القول ذهب جماعة وهو عند اهل
التحقيق لا يصح على وجه التحديد لانه لم نزل الها ولان هذا
الوصف ليس مما اشتقه لفعل ظهره ولا لمعنى حصل ولم يكن
في الازل ممن يصح الفزع اليه ولانه الا من يصح منه الفزع
ومن لا يصح كالجمادات والاعراض ومن لا عقل له ولا تمييز
ومن اخذ بهذا القول على الذي تقرر وعرف معبوده بانه
هو الذي يفزع اليه في الحوائج اعرض عما سواه ولم يسكن الى
احد من المخلوقين ولا يستغيث بغير رب العالمين الثاني
انه مشتق من الوله وهو الطرب وهو خفة تصيب الرجل من
سرور او حزن قال الشيخ ابو علي الدقاق سماع اسمه يوجب
الوله لان المسمى به هو اسمه وهذا القول ايضا لا يصح على
طريق التحديد لاستحالة وجود تقدير وجود الطرب في الازل
ولكونه تعالى اله من لا يصح منه الطرب مما ذكر من الجمادات
لكنه يصح في وصفه على غير وجه التحديد كما تقدم الثالث
انه مشتق من قولهم لاه وفسر بمعنيين احدهما انه احتجب
وهذا القول خطاء لان الاحتجاب لا يجوز في وصفه تعالى لانه
من صفات الاجسام والجواهر لان المحجوب لا يخلو اما ان يكون
مثل الحجاب في القدر او اصغر منه او اكبر وكل ذلك محال في
وصفه فانه لم نزل الها والاحتجاب في الازل محال لانه لم يكن
معه غيره فيحتجب منه ولانه اله الجمادات والاعراض ولا يجوز
ان يكون محجوبا الا ممن يكون مرائيا فانيهما من معنى لاه قال
بعضهم معناه علا فقال لاهت الشمس اذا علت وهذا ان اريد
به علو المكان والمنزل فمحال في وصفه لقيام الدليل على استحالة
كونه في المكان وان اريد به علو الصفة فذلك واجب في
حقه تعالى الرابع انه مشتق من قولهم الية بالمكان اذا

اقام به اي انه انما كان الها لقدمه ودوام وجوده وهذا
يشبه قول بعضهم ان معنى الاله هو القديم وهو باطل لانه
لو كان كما ذكر لوجب ان يكون كل ما له اقامة بمكان او تقوم
بزمان اوده وام بوجود كان له قسط من الالهية الخامس
انه مشتق من الة اذا تحير وهذا ايضا لا يصح على طريق
التحديد وان صح من طريق المعنى على معنى تحير العقول في
جلال سلطانه وذلك من اوصاف التعظيم وقد قال يحيى
ابن معاذ لو دارت السنة العارفين مع الناس كما تدور
قلوبهم مع الله لقال الناس انهم مجانين وعلامة صحة
هذه الحالة ان لا يقع منه في احكام الشريعة تقصير فان لم
تحفظ عليه اوقاته في اداء ما كلف به وان كان مغلوبا
فلتفقد حاله وقيل للشبلي ما علامة صحة ذلك فقال
ان لا يجري على اوقاته الغلبة مما يخالف حالة الصحة
السادس انه من التأله الذي هو التعبد لان العرب
سمت الاصنام الهة لما عبدوها وهذا ايضا لا يصح لوجوه
منها انه لم يزل الها ولا يقال كان في الازل معبودا لان
المعبود من له عابد وله عبادة وقد مر ذلك في الازل محال
ولان العبادة انما تجب لامر الله تعالى ولانه الة من لا تصح
منه العبادة من الجمادات والاعراض وغير ذلك وبالجملة
فهذا المعنى صحيح لا على سبيل التحديد السابع انه من له
الالهية وهي القدرة على الاختراع ومنهم من قال هو من
له الخلق والامر وذلك لانا وجدنا اهل اللغة اطلقوا هذه
اللفظة على من اعتقدوا فيه استحقاق التعظيم فعلمنا
بالطلاقهم انها لفظة موضوعة لمن يستحق التعظيم وهذه
الاقاويل وان اختلف لفظها فمعناها متقارب يرجع الي

معنى

معنى واحد وهذا هو القول الصحيح في هذا الاسم الثامن
ذهب الكوفيون الى ان اصل هذه الكلمة لاه ثم ادخل عليه
الالف واللام فصار الاله فاجتمع فيه همزتان بينهما حرف
ساكن والساكن لا يحجز حاجزا حصينا فصار كانه اجتمع
همزتان ومن شان العرب اذا اجتمع همزتان حذفت احداهما
ولم يمكن حذف الاولى لانها مجتلبة لساكن وهو اللام فحذفت
الثانية فاجتمع لامان فادغمت احداهما بالاخرى ثم فخم فصار
الله وقوله وبحمده الواو فيه للحال اي اسبحه مكتسبا
بحمدي له من اجل توفيقه لي للتسبيح ونحوه وقيل
عاطفة اي اسبح والتبس بحمده واما الباء فيحتمل ان تكون
سببية اي اسبح الله واثني عليه بحمده وقال ابن هشام
في مغنيه اختلف في الباء من قوله فسبح بحمد ربك فقيل انها
للمصاحبة والحمد مضاف للمفعول اي سبحه حامدا له
اي نزهه عما لا يليق به واثبت له ما يليق به وقيل الباء
للاستعانة والحمد مضاف للفاعل اي سبحه بما حمد
به نفسه اذ ليس كل تنزيه محمودا الا ترى ان تسبيح المقترة
اقتضى تفصيل كثير من الصفات ثم ان جنس الحمد
كما قاله بعض العلماء لو قيل ذكره بعد التقديس عن كل
ما لا يليق به تعالى بغير تخصيص بعض المحامد تضمن
الكلام واستلزم اثبات جميع الكمالات الوجودية الجائزة
له مطابقة ولزم منه التقديس عن كل ما لا يليق وهو
كل ما ينافيها ولا يحاكمها هذا مع ان كلمة الجلالة تدل على
الذات المقدسة المستجمعة للكمالات اجمع فهذه الكلمة
اشتملت على اسمي الذات اللذين لا اجمع منهما احدهما باعتبار
اعتبار علية احكام الشهادة والغيب والاخر فيه

علية احكام الغيب وغيب الغيب وايضا تشتمل على جميع
التقديسات والتنزيهات وعلى جميع الاسماء والصفات
وعلى كل توحيد وقوله سبحان الله العظيم فيه
اعتناء بشان التسبيح اكثر من التحميد وذلك من
جهة تكرير التسبيح لكثرة المخالفين فيه وختم باسمه
العظيم للجمع بين مقامي الرجاء والخوف فان معنى الرحمن
يرجع الى الانعام والاحسان ومعنى التعظيم يرجع الى
الخوف من هيبته تعالى لان معناه عند اهل الحق يرجع
الى استحقاقه صفات العلو والمجد ورفعة القدر فهو
سبحانه وتعالى رفيع القدر عظيم النعت واما
معناه عند اهل اللغة فلا يكون الا باحد امرين اما لعظم
الذات ويعود ذلك الى كثرة الاجزاء واما لعظم القدر وكثرة
الاجزاء في صفته تعالى محال فيجب ان يكون بمعنى استحقاق
علو الوصف واوصاف التعالي ووجوب الوحدانية له
والانفراد بالقدرة على الايجاد وشمول العلم بجميع المقدورات
ونفوذ الارادة واد زاك السمع والبصر لجميع المسموعات
والمريبات واستغناوه عن الانصار والاعوان
وتقدسه عن الاقطار والازمان روي عن الاوزاعي
انه قال بلغني ان الله يقول وعزتي لو تعلم العباد قدر
عظمتي ما عبدوا غيري وسئل بعضهم عن عظمة الله
تعالى فقال ما تقول فيمن له عبد واحد له ستمائة الف
جناح لو نشر منها جناحا سد الخافقين وقال كعب
الاحبار ميكائيل لا يعرف احد صفته ولا عدد اجنحته
ولا يقدر احد على وصفه الا الله تعالى ولو ان هذا الملك
نشر قاه لم تكن السموات والارض في قبه الا كحردلة

في

في البحر العظيم قال كعب ايضا واسرافيل له اربعة اجنحة
جناح سد به المشرق وجناح سد به المغرب والثالث قد
نزل به من السما الى الارض والرابع قد التثم به من عظمة
الله تعالى فرجلاه في الارض السابعة السفلى وراسه قد
انتهى الى اركان قوائم العرش وبين عينيه لوح من جوهر
فاذا اراد الله تعالى ان يحدث امرا في عباده امر القلم حتى
يكتب في اللوح ثم ادنى اللوح الى اسرافيل فينظر بين عينيه
فينتهي الوحي الى جبريل وهو اقرب من اسرافيل وقال
ابن الجوزي في التبصرة المبتدا اعطى الله اسرافيل قوة
سبع سموات وقوة سبع ارضين وقوة الريح والجبال
وهو من راسه الى بطون قدميه افواه والسنة وهو بغطاة
باجنحة وريش وكل ريشة منه وجناح يقدس الله تعالى
ويمجده وينتظر كل يوم الى جهنم نظرة فيذوب خوفا
من الله تعالى حتى يصير كوتر القوس ثم يعلى كل ساعة
بدمع لو انسكب من السما لطبق به الارض ولكن يخلق الله
تعالى منه من كل قطرة ملكا وروي ان الله تعالى قد
خلق العرش من جوهرة خضرا وخلق الله له الف الف
راس وستمائة الف راس في كل راس الف الف وجه و
وستمائة الف وجه كل وجه منها كطباق الدنيا الف الف مرة
وستمائة الف مرة في كل وجه الف الف لسان وستمائة الف
لسان كل لسان منها يسبح الله تعالى بالف الف لغة وسبع
وستمائة الف لغة يخلق الله تعالى من كل لغة ملكا من
ملكوته يسبحه ويقدسه بتلك اللغة وروي وهب
قال ان حملة العرش يحملونه لكل ملك منهم اربعة وجوه
واربعة اجنحة جناحان على وجهه يستر انه من ان

ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يطيرهما اقدامهم في الثرى والعرش على اكتافهم لكل واحد منهم وجه ثور وجه اسد ووجه انسان ووجه نسر ليس لهم كلام الا ان يقولوا قدسوا الله القوي ملات عظمته السموات والارض وجاء في بعض الاخبار ايضا ان ملكا من الملائكة قال يا رب اني اريد ان اري العرش فزد في قوتي وفي طيراني تعالى ادركه فخلق الله له ثلاثين الف جناح فطار ثلاثين الف سنة فقال الله تعالى له هل بلغت الى اعلى العرش فقال يا رب لم اقطع بعد قايمة العرش واستاذن ان يعود الى مكانه وروي ان لله ملكا له اربعة اوجه وملكاله الف راس في كل راس الف الف وجه وملك له اربعة اجنحة جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وجناح في السما السابعة وجناح في الارض السابعة وان هولا الملايكة يكون ليلا ونهارا على المذنبين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الله تعالى لهم ولم تكون عليهم وهم يعلمون كذا وكذا لعدد ذنوبهم فيقولون الهنا نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الله لهم صدقتم فيقولون وقد اعطيتهم شهر رمضان فيقول الله عز وجل اشهدوا اني غفرت قد غفرت لهم وقيل ان موسى عليه السلام اراد ان يري السمك الذي عليه العالم فاخره الله تعالى ان باتي شاطئ البحر فاتى عليه السلام شاطئ البحر فصعد حوت سمك من البحر فاخذ يصعد نحو السما فلم نزل يصعد ثلاثة ايام بلياليها فصار قلب موسى عليه السلام فقال الهي اهو مثل هذا فاوحى الله تعالى اليه

انه

انه ياكل كل يوم الف سمك مثل هذا وتقال لما خلق الله الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارض السابعة فوضعها على عاتقه اخذ بيده بالمشرق والاخرى بالمغرب فلم تكن لقدميه قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اثنا عشر الف قرن اربعون الف قرن من ياقوت وبين عينيه احد عشر الف في كل قرن ما لا يوصف من العجايب وهو ياكل كل يوم مايتي الف حوت وقرون هذا الثور خارجة عن اقطار الارض ومنخراه في البحر وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فانزل الله ياقوتة خضراء من اعلى درجة في الفردوس غلظها خمسماية عام فوضعها تحت قدميه استقرت قدماه عليها فلم تكن له قرار فخلق الله صخرة خضراء غلظها سبع سموات فاستقرت عليها ولم تكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى حوتا بين عينيه سبعة اكر في كل كر سبعون الف مدينة في كل مدينة تسعون الفا من الملايكة وتحت الحوت بحر يقال له قهقام وتحت البحر ريح وتحت الريح جبل وتحته رعد وتحته برق وتحته بحر من دم وتحته بحر من حديد وتحته جهنم اعاذنا الله منها ومن سائر المكروهات فمن علم ان هذه مقدوراته تعالى لا نهاية لها علم انه لو اراد ان يخلق في لحظة الف الف عالم لم يكن ذلك عليه باشق من خلق نملة ولا خلق نملة باهون عليه من خلق الف الف عالم لانه سبحانه وتعالى منزه عن الخلق والمشقة والراحة تعالى الله العظيم عن ذلك خاتمة في فضل التسبيح والتحميد والتهليل وغيرها وقد

جاءت السنة به على انواع شتى ففي مسلم عن سمرة مرفوعا
افضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله و
والله اكبر اى افضل الذكر بعد كتاب الله تعالى والموجب
والموجب لتفضيلها اشتمالها على جملة انواع الذكر من
التنزيه والتحميد والتمجيد ودلالتها على جميع المطالب
الالهية اجمالا لان الناظر المتدرج في المعارف يعرفه
سبحانه اولا بنعوت الجلال التي تنزه ذاته عما يوجب
حاجة او نقصا ثم بصفات الاكرام وهي الصفات الكونية
التي يستحق بها الحمد ثم يعلم ان من هذا شانه لا يماثله
غيره ولا يستحق الالوهية سواه فينكشف له من ذلك
انه اكبر اذ كل شيء هالك الا وجهه وفي الترمذي وقال
حديث غريب عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملاه
ولا اله الا الله ليس لها حجاب دون الله حتى تخلص
اليه وفيه وجهان احدهما ان مراد التسوية بين
التسبيح والتحميد بان كل واحد منهما ياخذ نصف
الميزان فملان الميزان معا وذلك لان الاذكار التي هي
ام العبادات البدنية الفرض الاصلي من شرعها تنحصر
في نوعين احدهما التنزيه والاخر التحميد والتسبيح
يستوعب القسم الاول والتحميد القسم الثاني وثانيهما
ان مراد تفضيل الحمد على التسبيح وان نواية ضعف ثواب
التسبيح لان التسبيح نصف الميزان والتحميد وحده
تملاوه وذلك لان الحمد المطلق انما يستحقه من كان متبرءا
عن النقايص متعوتا بنعوت الجلال وصفات الاكرام
فيكون الحمد شاملا للامرين واعلا القسمين والى الوجه



الاول اشار عليه الصلاة والسلام بقوله كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان وقوله لا اله الا الله
ليس لها حجاب لانها اشتملت على التنزيه والتحميد
ونفي ما سواه تعالى صريحا ومن ثم جعله من جنس اخر
لان الاولين دخلا في معنى الوزن والمقدار في الاعمال
وهذا حصل منه القرب الى الله تعالى من غير حاجز ولا
مانع ففي مسلم من حديث جويرية انه صلى الله عليه
وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في
مسجدها ثم رجع بعد ان اضحى وهي جالسة قال ما زلت
على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم قال النبي صلى الله
عليه وسلم لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو
وزنت بما قلت اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد
خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته صرح
في القرينة الاولى بالعدد وفي الثالثة بالزنة وترك
الثانية والرابعة منهما ليؤذن بانهما لا يدخلان في جنس
المعدود والموزون ولا يحصرهما المقدار لا حقيقة ولا
مجازا فيحصل الترقي حينئذ من عدد الخلق الى رضى
الحق ومن زنة العرش الى مداد الكلمات وفي الترمذي
من حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انه دخل
مع النبي صلى الله عليه وسلم على امراة وبين يديها
نوى او حصى تسبح به فقال الا اخبرك بما هو ايسر عليك
من هذا او افضل سبحان الله عدد ما خلق في السماء
وسبحان الله عدد ما خلق في الارض وسبحان الله
عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله
اكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا اله الا الله مثل ذلك

ولاحول ولاقوة الا بالله مثل ذلك في قوله عدد ما هو
خالق اجمال بعد تفصيل لان اسم الفاعل اذا اسند الى الله
يفيد الاستمرار من بدء الخلق الى الابد وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت
خطاياه وان كانت مثل زبد البحر رواه الشيخان وهذا
وامثاله نحو ما طلعت عليه الشمس كنايات عبر بها عن
الكثرة عرفا فظاهر الاطلاق يشمر بانه يحصل هذا الاجر
المذكور لمن قال ذلك مائة مرة سواء قالها متوالية او
متفرقة في مجالس او بعضها اول النهار وبعضها
اخره لكن الافضل ان يأتي بها متوالية في اول النهار
وهذه الفضائل الواردة في التسبيح ونحوه كما
قاله ابن بطال وغيره انما هي لاهل الشرف في الدين
والكمال كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام فلا يظن
ظان ان من ادمن الذكر واصر على ما تشاء من شهواته
وانتهك دين الله وحرماته انه تلتحق بالمطهرين هـ
المقدسين ويبلغ منازلهم بكلام اجراه على لسانه
ليس معه تقوى ولا عمل صالح وفي الترمذي وقال
حديث حسن غريب عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم
عليه السلام ليلة اسري بي فقال يا محمد اقرئ امتك
مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة
الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر والقيعان جمع القاع هـ
وهو المستوي من الارض والغراس جمع غرس وهو



ما يغرس والغرس انما يصلح في التربة الطيبة ويغر بالماء
العذب اي اعلمهم ان هذه الكلمات توجب قابلها الجنة
وان الساعي في اكتسابها لا يضيع سعيه لانها المغرس
الذي لا يتلف ما استودع فيه وقال الطيبي وههنا
اشكال لان هذا الحديث يدل على ان ارض الجنة خالية
عن الاشجار والقصور ويدل قوله تعالى جنات تجري
من تحتها الانهار وقوله تعالى اعدت للمتقين على انها
غير خالية عنها لانها انما سميت جنة لاشجارها المتكاثفة
المظلة بالتفاف اغصانها وتركيب الجنة دائر على معنى
الستر فانها مخلوقة معدة والجواب انها كانت قيعان
ثم ان الله تعالى اوجد بفضله وسعة رحمته فيها اشجارا
وقصورا على حسب اعمال العاملين لكل عامل ما يختص
به بحسب عمله ثم ان الله تعالى لما يسره لما خلق له من
العمل لينال به ذلك الثواب جعله كالغارس لتلك الاشجار
على سبيل المجاز اطلاقا للسبب على المسبب ولما كان سبب
ايجاد الله الاشجار عمل العامل اسبغ الغراس اليه والله
اعلم بالصواب وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما جلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ولا تلا قرانا
ولا صلى الاختم ذلك بكلمات فقلت يا رسول الله اراك
ما تجلس مجلسا ولا تتلو قرانا ولا تصلي صلاة الا ختمت
بهؤلاء الكلمات قال نعم من قال خيرا كانت طابعا له على
ذلك الخير ومن قال شرا كانت كفارة له سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك وعن علي كرم
الله وجهه قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى
فليقل اخر مجلسه او حين يقوم سبحان ربك رب العزة

١٨ ورقة ١٨

عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
تم هذا الختم المبارك بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وصلى الله
على سيدنا
محمد وعلى اله
وصحبه
وسلم